


# الهجرة والولاء

محمّد مهدي الآصفي

مختارات من محاضرات ومقالات
ومؤلفات الشيخ محمد مهدي الآصفي
- ٩٧ -

❊ ❊ ❊

اسم الكتاب: .............................................. الهجرة والولاء
المؤلف: ............................................ محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الاولى: ........................................ ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م
الكمية ............................................................ ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة: ......... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا
لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ
اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذينَ
كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي
الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ
وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

الأنفال: ٧٢ ـ ٧٤

# الهجرة والولاية

ـ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ.

ـ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

ـ وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ.

ـ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ.

ـ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.

هذه الآيات المباركات من سورة الأنفال تتناول قضايا ثلاثة هامة وكبيرة ورئيسية نتناولها إن شاء الله بالدراسة.

بإيجاز... وهذه القضايا هي على نحو الإجمال.

١ ـ العلاقة العضوية بين المفاهيم الثلاثة المذكورة في صدر الآيات وهي: (الإيمان) و(الهجرة) و(الجهاد)، والتسلسل والترتيب الطبيعي بينها.

وأقصد بالعلاقة العضوية، والترتيب: أن الإيمان يؤدي إلى (الهجرة) والهجرة تؤدي إلى (الجهاد)، ولا يمكن فصل بعضها عن بعض، ولا يمكن الإخلال بالتسلسل القائم فيما بينها، كما ورد في صدر الآيات الكريمة.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ**﴾.

٢ ـ قيمة (الإيمان) و(الهجرة) و(الجهاد) وموقع هذه القضايا الثلاث من حركة التوحيد في التاريخ، فان الله تعالى يصف المؤمنين الذين (آمَنُوا) و(وَهَاجَرُوا) و(وَجَاهَدُواْ)... بأنهم المؤمنين حقاً. ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ ومفهوم ذلك بالضرورة أن المؤمنين الذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا لا يكونون من المؤمنين حقاً. ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ**

**آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.**

٣ ـ دور (الهجرة) في نسيج الأمة، ولكل أمة نسيجها الخاص بها، وهو شبكة العلاقات التي تربط الأمة بعضها ببعض، والتي تفرض على كل فرد في هذه الشبكة مسؤوليات وواجبات تجاه الآخرين، كما تجعل لهم حقوقاً على عهدة الآخرين، وللهجرة دور في صنع هذه الشبكة، فلا يدخلها إلا من (هاجر) و(آوى ونصر).

يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ**﴾.

والنسيج المقابل لنسيج الولاء بين المؤمنين... هو نسيج الولاء بين الكفار، فكما يرتبط المؤمنون بعضهم ببعض بنسيج الولاء في علاقة عضوية متينة، كذلك يرتبط الكفار بعضهم ببعض بعلاقة عضوية، هي علاقة الولاء بين الكافرين.

يقول تعالى: ﴿**وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾.

وبين هذين النسيجين صراع قديم على قدم التوحيد

والشرك في التاريخ.

هذا إجمال للقضايا الثلاث التي تتحدث عنها الآيات المباركات من سورة الأنفال، وإليكم تفصيل هذا الإجمال:

## ١ ـ العلاقة العضوية بين الإيمان والهجرة والجهاد

### الإيمان والهجرة والجهاد في القرآن:

يتكرر في القرآن الكريم ذكر (الإيمان) و(الهجرة) بهذا التسلسل في أكثر من موضع وإليك بعض هذه المواضع. يقول تعالى:

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**(١).

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ**

---

(١) البقرة: ٢١٨.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾[1].

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ﴾[2].

ما هي العلاقة العضوية بين (الإيمان) و(الهجرة) و(الجهاد)؟

ثم ما هو سرّ هذا التسلسل الذي يتكرر في القرآن بين هذه المفردات الثلاث على نسق واحد؟

## العلاقة العضوية بين الإيمان، الهجرة، الجهاد:

ليس المقصود بالإيمان في هذه الآيات المباركات والله أعلم، الإيمان بأن الله تعالى هو خالق الكون فقط ولا نجد في تاريخ الصراع بين التوحيد والشرك خلافاً جوهرياً في هذه المسألة... فقد كان المشركون في الأعم الأغلب يؤمنون بهذه

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) التوبة: ٢٠.

الحقيقة وفيما نقرأ من آيات كتاب الله لا نجد أن المشركين كانوا يشكون في هذه الحقيقة، إلاّ في مواضع نادرة لا تعتبر أساساً للصراع.

والخلاف بين حركتي[١] (التوحيد) و(الشرك) في ولاية الله تعالى وسيادته وحاكميته على حياة الإنسان وعدمها، وإثبات الولاية والحاكمية لله تعالى في حياة الإنسان يؤدي بالضرورة إلى نفي الولاية والسيادة على الإنسان لغير الله تعالى، وهذا هو السبب الأساسي والحقيقي للصراع بين حركة التوحيد والشرك. فإن جوهر هذا الصراع هو الخلاف على (الحاكمية) و(السيادة) و(الولاية) في حياة الإنسان.

## العلاقة بين الخلق والأمر:

والقرآن الكريم صريح في أن الإيمان بأن الله تعالى هو الخالق المهيمن يؤدّي بالضرورة إلى الإيمان بأنه تعالى هو

---

(١) التوحيد والشرك ليسا فقط مفهومين، وإنما هما مفهومان وحركتان أيضا في واقع الحياة.

الحاكم والآمر والناهي في حياة الإنسان، يقول تعالى:﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ**﴾(١).

ويقولُ تعالى:﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾(٢).

وحيثيات العلاقة بين القضيتين في هاتين الآيتين الكريمتين واضحة.

فإن الإيمان بأن (الخلق لله) يستلزم الإيمان بأن (الأمر لله) ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾.

والقضية التي تدخل في دائرة الصراع بين التوحيد والشرك هي توحيد الله تعالى بالعبادة والطاعة والأمر والولاية على حياة الإنسان، وليس توحيد الله تعالى بالخلق والهيمنة على الكون.

يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى**

---

(١) الأنعام: ١٠٢.

(٢) الأعراف: ٥٤.

**اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**(١).

وهذا هو البعد الأول لقضية التوحيد، والبعد الثاني هو رفض ولاية الطاغوت.

يقول تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ**﴾(٢).

والطاغوت: كل من يحكم بغير حكم الله في حياة الإنسان. وقد جمعت آية سورة النحل هذا البعد وذاك في سياق واحد: ﴿**أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾(٣).

والإيمان بهذا المعنى يتطلب أمرين اثنين:

**الأمر الأول**: الانفصال عن حزب الطاغوت وهذا هو الهجرة و(الاعتزال).

---

(١) النور: ٥١.

(٢) النساء: ٦٠.

(٣) النحل: ٣٦.

**والأمر الثاني**: مواجهة الطاغوت وحزبه وهو (الجهاد).

ويؤكد القرآن، بالإضافة إلى العلاقة العضوية بين القضايا الثلاث.. على التسلسل بين هذه العناصر.

وفيما يلي نقدم توضيحاً موجزاً لهذا التسلسل المذكور في القرآن:

## البعد الإيجابي والسلبي لدعوة الأنبياء:

إن دعوة الأنبياء تتلخص في كلمتين اثنتين كما ذكرنا:

١ ـ طاعة الله ورسوله.

٢ ـ ورفض طاعة الطاغوت.

يقول تعالى عن المسيح بن مريمﷺ في دعوته لبني إسرائيل:

**﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾**[1].

---

(١) آل عمران: ٥٠ ـ ٥١.

ومن دعوة نوح عليه السلام يقول تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾(١) .

وعن دعوة هود عليه السلام يقول تعالى:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾(٢).

وعن دعوة صالح عليه السلام يقول تعالى:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ

---

(١) الشعراء: ١٠٥ ـ ١١٠.

(٢) الشعراء: ١٢٣ ـ ١٣١.

**أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾**(١).

وعن دعوة لوط عليه السلام قول تعالى:

﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾(٢).

وهذه هي خلاصة دقيقة للبعد الأول من دعوة الأنبياء عليهم السلام تتلخص في نقطتين طاعة الله تعالى ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ**﴾ فان التقوى هي طاعة الله في الحلال والحرام، وطاعة الأنبياء ﴿**وَأَطِيعُونِ**﴾ وطاعة الأنبياء من طاعة الله، ولا طاعة للأنبياء من غير أمر الله تعالى وإذنه.

وهذا هو البعد الأول لدعوة الأنبياء. والبعد لدعوة الأنبياء رفض أمر المسرفين، والنهي عن طاعة الظالمين والطاغوت

---

(١) الشعراء: ١٤١ ـ ١٥٠.

(٢) الشعراء: ١٦٠ ـ ١٦٣.

وأئمة الكفر.

يقول تعالى عن دعوة صالح عليه السلام: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾(٢).

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾(٣).

ويقول تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ

---

(١) الشعراء: ١٥٠ ـ ١٥٢.

(٢) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٣) النحل: ٣٦.

**وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾**(١).

## الطبيعة الحركية والتغيرية للإيمان:

والإيمان ـ بهذين البعدين ـ ليس أمراً نظرياً في دائرة علاقة الإنسان بالله تعالى، وإنما هو منهج علمي لخروج الإنسان من دائرة الطاعة لغير الله والدخول في دائرة طاعة الله تعالى، ورفض ونقض كل طاعة لغير الله وبناء المجتمع على منهج توحيد الطاعة لله. والإيمان بهذا المعنى هدم وبناء ومنهج تغييري متكامل لنقض كل حاكمية في الأرض عدا حاكمية الله تعالى وتحرير الإنسان من كل سيادة وحاكمية إلاّ ولاية الله تعالى.

ومن الطبيعي أن الإيمان بهذا المعنى الحركي أمر يغيظ الطاغوت ويعتبر تحدياً لسلطانه ونفوذه.

ومن الطبيعي أن لا يسمح أئمة الكفر لمثل هذه الدعوة أن تمتد على وجه الأرض، ومن الطبيعي أن يقابل أصحاب

---

(١) النساء: ٦٠.

النفوذ والسلطان حَمَلَة هذه الدعوة بالتضييق والملاحقة والإبادة والاستئصال.

**الهجرة:**

ولكي يسلم حَمَلَة الدعوة من فتنة العذاب والاضطهاد، والبطش والفتك، وتسلم الدعوة من فتنة الاستئصال لابد من (الهجرة) حتى تتمكن (الدعوة) من أن تستقر على الأرض، وتتكوّن سياسياً واجتماعياً وثقافياً.

إن (الهجرة) ليست بحثاً عن الأمن فقط، وإنما هي أيضا بحث عن الوسط الملائم لتكوين الجماعة الجديدة.

إن لهذه الدعوة ثقافتها، وأعرافها، وحركتها، وأهدافها، وأنصارها، وخصومها، ونظامها، وعلاقاتها، ولا تستطيع أن تتكوّن وتتكامل في وسط يحكمه خصوم هذه الدعوة، وتحكمه الأعراف والثقافة المضادة لها.. فلابد أن تنتقل إلى وسط آمن، تستطيع فيه أن تتكامل، وتترسّخ وتكوّن الجيل الذي يعتنق الدعوة وينهض بها.

**الجهاد**:

والجهاد العنصر الثالث في هذا المسلسل، ففي الهجرة تتكامل الدعوة بشرياً، وحضارياً، وعسكرياً أيضاً، وتقوى على المواجهة.

وما كان ذلك في حيز الإمكان لولاها.

إن الهجرة ليست فراراً من العدو بقدر ما هي بحث وسعي للوصول إلى موقع أفضل للانطلاق إلى مواجهة خصوم الدعوة، التي لابد منها على كل حال، وفي كل الحسابات.

فلم يطل بقاء المسلمين المهاجرين في المدينة حتى عادوا منها إلى مواجهة قريش في بدر، وبقيت المدينة معقلاً حصيناً، وأرضاً صلبة، يتخذونها قاعدة للانطلاق إلى مواجهة خصوم هذه الرسالة.

وهذا هو إجمال للعلاقة العضوية بين هذه المفاهيم الثلاثة، وتفسير للتسلسل القائم بينها.

**المراحل الثلاث في سورة (النحل)**:

وهذه المراحل نفسها يذكرها القرآن في سورة (النحل)

بنفس التسلسل، يقول تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(١).

والعلاقة بين هذه المفردات، بنفس التسلسل واضحة.. فحيث تتم ولادة الدعوة إلى التوحيد يستشعر الشرك بخطرها على مؤسساته السياسية والاقتصادية والعسكرية، ويستشعر في الدعوة إلى التوحيد ما يصادر سيادته ونفوذه على المجتمع، فيبدأ أئمة الكفر بافتتان حَمَلَة رسالة التوحيد، ويعرض هؤلاء لفتنة واسعة، تضطرهم إلى الهجرة ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ**﴾.

وفي الهجرة يتم إعداد هذه الجماعة الفتيّة للمواجهة المسلحة التي لابد منها على كل حال في العلاقة بينها وبين أئمة الشرك، ﴿**ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ**﴾ هذه ثلاثة مفاهيم مترابطة ومتسلسلة على النهج الذي يذكره القرآن.

---

(١) النحل: ١١٠.

# ٢ ـ القيمة الحركية للإيمان، والهجرة، والجهاد

## الفكر الحركي والعمل الحركي:

الإيمان فكر حركي، والهجرة والجهاد عملان حركيان، ونحن في البدء لابد أن نعرف المقصود من الفكر الحركي والعمل الحركي، والفرق بينهما وبين الفكر والعمل غير الحركيين.

## الفكر على أنحاء مختلفة:

فمن الفكر (التابع) الذي يساير التيار، والفكر (الفاعل) الذي يخترق التيار ويخلق التيار، والفكر (الهجين) الذي يلفقه أصحابه، من مجموعة من الأفكار على أساس التلاقي والتفاهم والترضية والمصالحة بين الأفكار، والفكر (الأصيل) والنقي الذي يرفض التلفيق.

والفكر (المدافع) الذي لا يملك مقومات المبادرة بالهجوم، وإنما يقتصر دوره على الدفاع عندما يتعرض للهجوم، والفكر (المهاجم) الذي يقتحم حصون الخصوم،

ويدخل عليهم عقر دارهم ليغزوهم فيه.

والفكر (المتحفظ)، والفكر (الاقتحامي)، ومن هذه التقسيمات: الفكر (الحركي) والفكر (غير الحركي).

ولابد من توضيح لمفهوم الـ(الحركيّة) في الفكر والعمل، فهو مصطلح جديد في الفكر المعاصر، ولكنه مفهوم قديم، وسوف نجد أن القرآن يتعرّض لهذا المفهوم في أكثر من آية، وربما لأول مرة، في تاريخ الفكر والحضارة البشرية.

ونقصد بـ(الحركيّة): الفكر والعمل الذي ينهض بدور التغيير في البنية الاجتماعية والفكرية والسياسية في المجتمع.

إن (الحركية) في الفكر والعمل هدم وبناء: هدم للمؤسسات القائمة، وبناء جديد لهذه المؤسسات، وليس الهدم فقط (حركة)، وقد يكون الهدم نافعاً ومفيداً، ولكنه لوحده شطر من الحركة وليس كل الحركة، إن لم يقترن بدور إيجابي في البناء. و(البناء) وحده ليس بحركة، وقد يكون البناء مفيداً ونافعاً، كالمؤسسات الخيرية والعلمية المنتشرة في المجتمع، فهي مؤسسات خيرية وعلمية نافعة ومفيدة للمجتمع، ولكنها لا تهدم فكراً وثقافة قائمة فاسدة

لتحل محلها، وتكون بديلة عنها على النهج الصحيح والصالح، ولذلك لا تواجه هذه المؤسسات والأعمال مواجهة قوية من قبل الوضع الفكري والحضاري والاجتماعي القائم.

بخلاف الفكر الحركي والعمل الحركي فإنهما يواجهان واقعاً فكرياً وعملياً قائماً في المجتمع.. بالهدم والنقض والتغيير، ليحلا محل الواقع الفاسد. وبطبيعة الحال يواجَه هذا الفكر والعمل البديل مقاومة عنيفة من قبل النظريات والمؤسسات القائمة في المجتمع.

## المفاهيم الحركية الخمسة في آية الأنفال:

وفي آية الأنفال نلتقي خمسة مفاهيم حركية هي: (الإيمان)، و(الهجرة)، و(الجهاد)، و(الإيواء)، و(النصرة). يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾.

و(الإيمان) فكر حركي، لأنه يقوم على أساس الرفض والبناء: رفض كل سيادة غير ولاية الله تعالى على الإنسان،

وإقامة وتشييد الولاء والحاكمية لله تعالى في حياة الإنسان على وجه الأرض.

و(الهجرة) و(الجهاد) عملان حركيّان، باتجاه إسقاط المؤسسات القائمة على الشرك، واستبدال هذه المؤسسات، واستبدال نظرية تعددية السيادة بالتوحيد، والمؤسسات القائمة على التوحيد.

وذلك لأن (الهجرة) إعداد للانقضاض على الشرك ومؤسساته ونقضه، و(الجهاد) انقضاض فعلي على الشرك ومؤسساته، فالهجرة والجهاد إذن: عملان حركيان، وتضيف إليهما آية الأنفال: (الإيواء) و(النصرة): ﴿**الَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ**﴾.

وهما عملان يشتركان بالنتيجة مع الهجرة والجهاد، لأن (الإيواء) و(النصرة) دعم وإسناد لـ (الهجرة) فهما إذن ينضمان بالنتيجة إلى قائمة الأعمال الحركية ولا تتم الهجرة من دونهما.

فما لا يتم العمل الحركي إلاّ به يدخل في دائرة الأعمال

الحركية.

يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[١].

## تفضيل العمل الحركي على العمل غير الحركي في القرآن:

في كتاب الله نلتقي آيتين تفضلان العمل الحركي على العمل غير الحركي في سورتي (النساء) و(التوبة)، ففي سورة النساء نقرأ:

﴿**فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ**

(١) الحشر: ٩.

**وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾**(١).

والتفضيل في الآية الكريمة ليس للجهاد على القعود، وإنما لحالة القيام والحركة والجهاد، على حالة القعود، وهذا المعنى هو الذي يناسب قوله تعالى:﴿**وَكُـلاًّ وَعَـدَ اللّـهُ الْحُسْنَى**﴾.

فإن (الحسنى) التي وعد الله تعالى بها المؤمنين تناسب العمل، إلاّ أن العمل على طائفتين: العمل الحركي والعمل غير الحركي، ﴿**وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى**﴾، ﴿**وَفَضَّلَ اللّـهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾.

والآية الثانية آية (التوبة)، يقول تعالى:

﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّـذِينَ آمَنُـواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّـهِ بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِـهِمْ**

---

(١) النساء: ٩٥ ـ ٩٦.

**أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**[١].

وقد نزلت هذه الآية الكريمة عندما فاخر (العباس) عم رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج فأنزل الله تعالى في ذلك هذه الآية في محكم كتابه.

وليس من شك أن عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج عملان صالحان، ولكن دون درجة مثلّث (الإيمان والهجرة والجهاد).

والأعمال الصالحة في حياة الناس لا تخلو من واحد من هذين النوعين.

نوع منها من قبيل الإيمان بالله والهجرة والجهاد، والنوع الآخر من قبيل عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج.

ويختلف القسم الأول من الأعمال عن القسم الثاني في نقطتين:

في القيمة والجهاد: فإن الأعمال الحركية نقض وبناء كما

---

(١) التوبة: ١٩ ـ ٢٠.

ذكرنا، فهي أعمال تأسيسية في قاعدة البنية الاجتماعية، بينما الأعمال غير الحركية، لا تحتلّ هذا الموقع الأساس من جسم المجتمع، مهما كانت نافعة وصالحة.

والمجتمع يتحول من قاعدة الشرك إلى التوحيد بالنوع الأول من الأعمال، وليس للنوع الثاني، هذا الدور القاعدي والأساسي في بناء المجتمع.. وقيمة العمل عند الله تعالى تناسب قيمته في حياة الناس وبناء المجتمع(١)، ولذلك يقول تعالى في هذه الطائفة من الأعمال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾.

هذا من حيث (القيمة)، وأما من حيث الجهد.

فإن العمل من النوع الأول يواجه مقاومة شديدة وقوية من قبل المستفيدين من الحالة القائمة، بينما لا تواجه الأعمال

---

(١) إذا توفر قصد القربة للمكلف في كل منهما على نحو سواء فإن قصد وجه الله تعالى هو الغاية والأساس الأول في تقسيم العمل، والتقسيم الذي ذكرناه للعمل الصالح يأتي بعد هذه الغاية.

غير الحركية من النوع الثاني مثل هذه المواجهة.

وفيما سيأتي سوف نقدم لهذا الكلام توضيحاً من خلال كتاب الله.

## التدين الحركي وغير الحركي

إن هذا التقسيم للأعمال الصالحة يؤدي بنا إلى تصنيف حالة (التدين) إلى حالتين: حالة حركية وحالة غير حركية، وكلاهما من التدين إلاّ أنهما لا يستويان عند الله، وكلاًّ منهما يريده الله تعالى، ولكن بقيمتين مختلفتين، وبين هذا التدين وذاك فارقان اثنان تبيّنهما الآية السابعة من سورة الأنفال.

### الفارق الأول بين التدين الحركي وغير الحركي:

يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾[1].

---

(١) الأنفال: ٧.

وقد نزلت هذه الآية بعد معركة (بدر) التي أعز الله فيها المسلمين بالنصر، وفيها يذكّر الله تعالى المسلمين أن الله تعالى وعدهم قبل أن يخرجوا إلى (بدر) أحد الأمرين: إما الظفر بتجارة قريش التي كان أبو سفيان يحملها من الشام إلى مكة، وأما النصر الذي يعز الله تعالى به الإسلام، إلاّ أن الثاني منهما يكلفهم في الأموال والأنفس، ويثخنهم بالجراح، والأول لا يكلفهم في أموالهم وأنفسهم شيئاً، ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ**﴾، وقد كان المسلمون يومئذ يؤثرون الأول منها على الثاني، ويؤدّون أن يرجعوا إلى بيوتهم في المدينة بتجارة قريش، وليس بفقد أبنائهم وأزواجهم وإخوانهم، وقد علم الله تعالى ذلك من نفوسهم ونياتهم، رحمهم الله ﴿**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾.

وتذكرهم آية الأنفال بأن الإنسان لو ترك وشأنه فهو يؤثر العافية في الدنيا على الحياة ذات الشوكة، إلاّ أن الله تعالى يريد لهم غير ما يريدون لأنفسهم من العافية، وشتان بين ما

يريده الله تعالى للمؤمنين من نصر وعز لا يتحقق إلاّ بذات الشوكة، وبين ما يريده الإنسان لنفسه من عافية، لا يتحقق إلاّ بالهوان والذل.

## تقطيع وتبديل نسيج العلاقات:

إن أعمالاً من قبيل (عمارة المسجد الحرام) و(سقاية الحاج) لا تكلّف الإنسان كثيراً، ولا تسلب استقراره وسلامته وأمنه، ولا تعرّض حياته للخطر، ولا تعرّض علاقاته الاجتماعية والعائلية والمالية والسياسية للتقطيع والتبديل، بينما نجد أن أعمالاً من قبيل الهجرة والجهاد تعرّض الإنسان لمتاعب كثيرة، وتقطع علاقاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتستبدلها بنوع آخر ونسيج آخر من العلاقات الوطنية والأسرية والعائلية، وهذا التقطيع والتبديل لنسيج العلاقات من أشق الأعمال على الإنسان. يقول تعالى في وصف المهاجرين: ﴿**لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا**

**مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾(١).

إن الإيمان والهجرة والجهاد تفتت وتقطع كل خيوط العلاقة في حياة الإنسان وتنسجها نسجاً جديداً، على أساس وفهم جديدين للحياة.

يقول تعالى عن هذا التبديل الذي يحدثه الإيمان في نسيج العلاقات في حياة الإنسان: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(٢).

﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ**

---

(١) الحشر: ٨.

(٢) التوبة: ٢٣.

**فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**[١].

وقد يقاتل الإنسان في ساحة الجهاد أقرب الناس إليه وألصقهم به، من آبائه وإخوانه وأبنائه.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «ولقد كنا مع رسول الله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، وما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومضيّاً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين ويتخالسان أنفسهما، أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون فمرّة لنا من عدونا، ومرّة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر»[٢].

ويقول زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: «اللهم وأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، الذين أحسنوا الصُحبة، والذين

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) نهج البلاغة، خطبة: ٥٦.

أبلوا البلاء الحسن في نصره، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، فلا تنسى لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك»[١].

**الفارق الثاني:**

يقول تعالى: ﴿**وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾.

إن طريق ذات الشوكة التي اختارها الله للمسلمين يومئذ ببدر، وان كان قد كلفهم كثيراً في أموالهم وأنفسهم وعلاقاتهم، وشق عليهم، ولكن الله تعالى أراد أن يرسّخ بهم قواعد هذا الدين والتوحيد والحق على وجه الأرض، ويقطع بهم دابر الكافرين، وشتان بينما كانوا يريدون لأنفسهم من عافية رخيصة هينة وما كان الله تعالى يريد لهم، من قوة ومنعة وشوكة وعزة.

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤.

إن المسلمين الذين عاشوا ظروف التقشف والجهاد في المدينة، وظروف الحصار والاضطهاد والمطاردة في مكة.. غيّروا وجه التاريخ، وفتح الله تعالى بهم الأرض بينما نجد أن أبناءهم الذين شيّدوا قصور قرطبة وغرناطة وأحيوا ليالي الشام وبغداد الساهرة في السكر والطرب أضاعوا ثمرات جهود الآباء وجهادهم.

**أنحاء التدين:**

وخلاصة القول إن التدين على نحوين:

تدين وديع وهادئ ومريح، لا يكلف الإنسان في ماله وعافيته ونفسه واستقراره، وتدين شاق وعسير، يكلف صاحبه نفسه ونفوس أحبائه وماله وعافيته وأمنه واستقراره وعلاقاته وشمله.

والأول لا يغير من واقع الحياة شيئاً، ولا يحق حقاً، ولا يبطل باطلاً، بل لا يشعر به أحد، ولا يمس مصالح أحد بسوء، ولا يتبنى الدفاع عن ظلامة مظلوم ولا يرفع صرخة مضطهد معذب في الأرض، والثاني هو التدين الذي يغير

وجه الحياة، ويفك الآصار والأغلال من الناس ويقتحم، ويخترق الحواجز والعوائق، ويحق الحق على وجه الأرض ويبطل الباطل، وإن كره الظالمون.

وهناك التدين الضعيف والخجول، وفي مقابل التدين القوي والشجاع والجريء، والتدين المسالم وتدين الصراع والمواجهة والتحدي، والتدين الذي يعدل بصاحبه من ساحة المجتمع، والتدين الذي ينقل صاحبه إلى ساحة المجتمع، والتدين الذي يدفع بصاحبه إلى التضحية بعمره وماله ونفسه وعافيته وراحته.

والتدين الذي يوازن به صاحبه بحساب دقيق بين الدين والدنيا، فلا يفرط بهذا من أجل ذاك، ويجمع بينهما، ويحتفظ بهما بموازنات دقيقة، والتدين الذي لا يريد به صاحبه إلاّ وجه الله تعالى، والتدين الذي يكافح صاحبه المكر والظلم، والتدين الذي يسعى صاحبه إلى المكر والظلم، والتدين الواقعي، الذي يتعامل مع الواقع، والتدين المثالي الذي يتهرب من الواقع، والتدين الخامل الذي لا

يترك أثراً في واقع حياة الناس، والتدين الحركي الذي يغير ويبدل وجه الحياة إلى ما يريده الله تعالى.

## دور الهجرة في نسيج الولاء

وهذه النقطة هي القضية القائمة في آية الأنفال المباركة، وهي علاقة (الهجرة) بـ(الولاء).

إن (الهجرة) في هذا الدين من أسس الولاء وأصل في ولاء الأمة المسلمة، ولا ولاء من دون الهجرة وتقرر آية الأنفال هذا الإيجاب والسلب في علاقة الهجرة بالولاء.

فمن حيث الإيجاب يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾.

والإيواء والنصرة يحلّ محل الهجرة، ويدخلان في تكوين نسيج الولاء، ولا يمكن الهجرة من دونهما.

ومن حيث السلب يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ**﴾.

لماذا؟ لأن هذه لا تواجه الكفر مواجهة نظرية، فكرية،

مجـردة وإنمـا تواجهـه علـى الأرض، وفـي مسـاحة الواقـع الاجتماعي، والكفر أمة واحدة، يرتبط بعضهم بـبعض بعلاقـة عضوية مقاومة، تحفظ أمـة الكفـر مـن التشـتت والتفـرق فـي مواجهـة حركـة التوحيـد، وقـد يختلـف الكفـار فيمـا بيـنهم، وتُفَرِّقُهُم وتُشَتِّتُهُم مصالحهم ولكن عنـدما يواجهـون الـدعوة إلى الله، ينضم بعضـهم إلـى بعـض، ويتكتلـون كتلـة واحـدة، وأمة واحـدة فـي مواجهـة الـدعوة، فيتضـامنون فـي الموقـف السياسي، والمواجهة العسكرية والإعلام، والأمن، والاقتصاد، ويدعم بعضهم بعضاً، ويتناسون ما كان بينهم من خلاف.

ويقرر القرآن الكريم هذه الحقيقـة بشـكل واضـح. يقـول تعالى: ﴿**وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾.

إذن طبيعة العلاقة بين شرائح الكفر علاقة عضوية حركية صُمِمت مـن ناحيـة الكفـار للمواجهـة والصـدام والصـد عـن سـبيل الله، وهـذه حقيقـة موضـوعية فـي سـاحة المواجهـة لا سـبيل إلـى التشـكيك بهـا، والحقيقـة الأخـرى التـي لابـد أن نذكرها أن حركة التوحيد لا تتحرك في فراغ، وإنما تتحـرك في مساحة نفوذ وسلطان أئمة الكفر، ولذلك فإنها سوف تثيـر

سخط أئمة الكفر، وتعرض مصالحهم ومواقع نفوذهم لتهديد حقيقي. وردّ الفعل المتوقع من ناحية أئمة الكفر في مواجهة الدعوة إلى الله هو مواجهة عنيفة يسلك فيها المستكبرون كل المسالك التي تمكنهم من القضاء على حركة الدعوة، وصدها.

ولذلك فإن المبادرة التي ينهض بها الأنبياءعليهم السلام في دعوة الناس إلى الله سوف تجهض بقوة وعنف، وما لم تُعِدّ الدعوة نفسها لصدّ هذه المواجهة وإزالتها فلا تستطيع أن تمتد على وجه الأرض، ولن تستطيع أن تنفذ إلى عقول الناس وقلوبهم.

ولكي تتمكن الدعوة من مواجهة هذه الحركة المضادة لابد أن تكون على درجة عالية من (التماسك العضوي) و(الكفاءة الحركية).

وهذان الأمران (العلاقة العضوية) و(الكفاءة الحركية) هما أساسان في بناء الأمة المسلمة التي تريد أن تنهض بدعوة التوحيد وتمتد على وجه الأرض... بالإضافة إلى عنصر (الإيمان) الذي سبق أن تحدثنا عنه.

## علاقة الولاء:

العلاقة العضوية هي رابطة (الولاء) بين المؤمنين، وهي كما يقررها الله تعالى أمتن نسيج في شبكة العلاقات، تمتلك قدرة كبيرة على المقاومة وكفاءة عالية على المواجهة في ساحات الصدام والقتال، وقد صمّمت هذه العلاقة داخل الأمة المسلمة لمواجهة الظروف الصعبة والأعاصير التي تثور في وجه الدعوة في كل حين.

ولولا هذه المتانة والقوة في نسيج العلاقة داخل الأمة المسلمة لم تتمكن من أن تنهض برسالة الله تعالى في وجه الجاهلية، وتمتد على مساحة نفوذ الشرك وسلطانه.

قد يتحرك جماعة من الناس على أرض صلبة منم دون أن يتعلق بعضهم ببعض، فإذا واجهوا إعصاراً قوياً في عمق واد بعيد تمسّك بعضهم ببعض لئلا ينفرطوا، وإذا تسلقوا الجبال الصعبة يشد بعضهم نفسه ببعض بالحبال ليحفظونه إذا انزلق وسقط، ويحفظهم إذا انزلقوا وسقطوا.. وهذه قاعدة في كل حركة صعبة.

إن حركة الدعوة على أرض ذات الشوكة، وفي مواجهة

عنيفة ضارية لأعداء الله، وهم أمة متضامنة فيما بينها، في كل شيء من ضرورات المعركة فلابد أن يكون نسيج العلاقة داخل الأمة المسلمة متينة وقوية ومقاومة.

وقد صممت هذه العلاقة في هذا الدين لهذه الغاية، ولذلك فهي تمتلك كل ما تحتاجه هذه المعركة من كفاءة وقوة ومتانة وإحكام.

يقول تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾(٢).

ويقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾(٣).

ويقول تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء**

---

(١) التوبة: ٧١.

(٢) الأنبياء: ٩٢.

(٣) الحجرات: ١٠.

**عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾**(١). ويقول تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى**﴾(٢).

وعن رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدّ بعضه بعضاً»(٣).

وعنه ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) المائدة : ٢.

(٣) مسند أحمد ٤: ٤٠٩ والبخاري ١: ١٢٣.

الجسد بالسهر والحمى»[١].

وعنه ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢]. وعنه ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»[٣].

وقد حرّم الله تعالى على المسلمين أن يهتك بعضهم حرمة بعض إلاّ بالحق، وخطب رسول الله ﷺ بالخيف من منى، وقال في ملاء من المسلمين يومئذ: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه، فيسألكم عن أعمالكم »[٤].

---

(١) مسند أحمد ٤: ٢٧٠ وصحيح مسلم ٨: ٢٠ وكنز العمال ١٤٩:١،ح٧٣٧.

(٢) مسند أحمد ٣: ٢٧٨ وسنن الدارمي ٢: ٣٠٧ والبخاري ١: ٩.

(٣) مسند أحمد ١: ١٢٢ وسنن أبي داوود ٢: ٤٨٨ والمستدرك للحاكم٢: ١٤١.

(٤) الكافي ٧: ٢٧٣ ح١٢ ومجمع الزوائد للهيثمي ٣: ٢٧٣.

**الهجرة**:

والبعد السياسي لهذه الأمة من غير الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين هو (البعد الحركي)، ويتجسّد في الهجرة والجهاد.

والهجرة إعلان للانفصال عن الكافرين، والجهاد مواجهة لهم، ومن دون هذا الانفصال والمواجهة لا يستقيم أمر هذا الدين.

وحيث ينتهي الحوار فيما بين الطرفين إلى حدّ التقاطع فلابد من هذا الاعتزال والانفصال.

ويحدثنا القرآن عن قصة إبراهيمعليه السلام عندما أعلن البراءة من أصنام قومه أنهم طلبوا منه أن يهجرهم، وأعلن لهم أنه سوف يعتزلهم وما يعبدون من دون الله: ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي**

**عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً﴾**(١).

وعن فتية أهل الكهف عندما أعلنوا البراءة عن قومهم وما يعبدون من دون الله يقول تعالى: **﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً﴾**(٢).

## علاقة الهجرة بالولاء:

وتدخل الهجرة في تكوين نسيج (الولاء)، ومن لا يهاجر من المسلمين ـ حيث تجب الهجرة ـ لا يدخل في شبكة الولاء، ولا يكتسب حقوق هذه الشبكة، فإن شبكة الولاء هي الشبكة الواقية لهذا الدين، وهي التي تمكن الأمة المسلمة من أن تنهض برسالتها على وجه الأرض، ولا يتكامل نسيج هذه الشبكة إلاّ في الهجرة، ومن غير الهجرة يتعرض نسيج هذه

---

(١) مريم: ٤٦ ـ ٤٨.

(٢) الكهف: ١٦.

الشبكة في كل حال للتفتت والتشتت والتخريب.

فمن لم يهاجر ليس له دور في تكوين هذا النسيج، وبالتالي ليس له دور في تكوين هذه الأمة، فلا يحق له أن يدخل ضمن هذا النسيج،ولا يدخل فيه إلاّ من ساهم في صنعه.

ويقرر القرآن هذه الحقيقة بصورة واضحة، تأبى الترديد والتشكيك، يقول تعالى: (**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ**).

# الفهرس